ابن نسيط ان توبة ابي لبابة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت ام سلمة
فقالت ام سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر وهو يضحك فقلت
قلت مم تضحك اضحك الله سنك قال تيب على ابي لبابة قالت قلت افلا ابشره يا رسول
الله قال بلى ان شئت قال فقامت على باب حجرتها وذلك قبل ان يضرب عليهن
الحجاب فقالت يا ابا لبابة ابشر فقد تاب الله عليك قالت فثار الناس اليه ليطلقوه
فقال لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقني بيده
فلما مر عليه خارجا الى صلاة الصبح اطلقه وروى البيهقي في الدلائل بسنده
عن مجاهد في قوله تعالى اعترفوا بذنوبهم قال هو ابو لبابة اذ قال لقريظة
ما قال واشار الى حلقه بان محمدا ايه يحكم ان نزلتم على حكمه قال البيهقي ونحن نحد
ابن اسحق بن يسار ان ارتباطه كان حينئذ وقد روينا عن ابن عباس ما دل على
ارتباطه بسارية المسجد كان بتخلفه عن غزوة تبوك كما قال ابن المسيب قال
وفي ذلك نزلت هذه الاية ولما اشتد الحصار ببني قريظة اذعنوا ان ينزلوا على
حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم فيهم سعد بن معاذ وكان قد جعله في
خيمة في المسجد الشريف لامراة من اسلم يقال لها رفيدة وكانت تداوي الجرحى
فلما حكمه اتاه قومه فحملوه على حمار وقد وطئوا له بوسادة من ادم وكان رجلا
جسيما ثم اقبلوا معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى سعد الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين قال عليه الصلاة والسلام قوموا
الى سيدكم فاما المهاجرون من قريش فيقولون انما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم
الانصار واما الانصار فيقولون عم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين
فقالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك امر مواليك لتحكم فيهم فقال
سعد فاني احكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذراري والنساء
فقال عليه الصلاة والسلام لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة ارقعة
والرقيع السماء سميت بذلك لانها رقعت بالنجوم ووقع في البخاري قال قضيت
فيهم بحكم الله وربما قال بحكم الملك بكسر اللام وفي رواية محمد بن صالح لقد حكمت
اليوم فيهم بحكم الله الذي حكم به من فوق سبع سموات وفي حديث جابر عند
ابن عائذ فقال احكم فيهم يا سعد فقال الله ورسوله احق بالحكم قال قد امرك الله
ان تحكم فيهم وفي هذه القصة جواز الاجتهاد في زمنه صلى الله عليه وسلم
وهي مسئلة اختلف فيها اهل اصول الفقه والمختار الجواز سواء كان في حضوره
صلى الله عليه وسلم ام لا وانما استبعد المانع وقوع الاعتماد على الظن مع امكان
القطع ولا يضر ذلك لانه بالتقرير يصير قطعيا وقد ثبت وقوع ذلك بحضرته
عليه الصلاة والسلام كما في هذه القصة وغيرها انتهى وانصرف صلى الله

عليه وسلم يوم الخميس لسبع ليال كما قاله الدمياطي او لخمس كما قاله مغلطاي خلون
من ذي الحجة وامر عليه الصلاة والسلام ببني قريظة فادخلوا المدينة وحفر لهم
اخدود في السوق وجلس صلى الله عليه وسلم ومعه اصحابه واخرجوا اليه فضرب
اعناقهم وكانوا ما بين ستمائة الى سبعمائة وقال السهيلي المكثر يقول انهم ما بين
الثمانمائة الى السبعمائة وفي حديث جابر عند الترمذي والنسائي وابن حبان
باسناد صحيح انهم كانوا اربعمائة مقاتل فيحتمل في طريق الجمع ان يقال ان الباقين
كانوا اتباعا واصطفى صلى الله عليه وسلم لنفسه الكريمة ريحانة فتزوجها
وقيل كان يطؤها بملك اليمين وامر بالغنائم فجمعت واخرج الخمس من المتاع والسبي
ثم امر بالباقي فبيع فيمن يزيد وقسمه بين المسلمين فكانت على ثلاثة الاف واثنين
واربعين سهما للفرس سهمان ولصاحبه سهم وصار الخمس الى محمية بن جزء الزبيدي
فكان النبي صلى الله عليه وسلم يعتق منه ويهب ويخدم منه من اراد وكذلك
صنع بما اصاب اليه من الرثة وهو السقط من المتاع وانفجر جرح ابن معاذ فمات
شهيدا وفي البخاري انه دعا اللهم انك تعلم انه ليس احد احب الي ان اجاهدهم
فيك من قوم كذبوا رسولك اللهم اني اظن انك قد وضعت الحرب فافجرها
واجعل موتي فيها فانفجرت من لبته فلم يرعهم وفي المسجد خيمة من بني غفار الا
الدم يسيل اليهم فقالوا يا اهل الخيمة ما هذا الذي ياتينا من قبلكم فاذا سعد
يغذو جرحه دما فمات منها وقد كان ظن سعد مصيبا ودعاؤه في هذه مجابا
وذلك انه لم يقع بين المسلمين وبين قريش من بعد وقعة الخندق حرب يكون
ابتدا القصد فيه من المشركين فانه عليه الصلاة والسلام تجهز الى العمرة فصدوه
عن دخول مكة وكادت الحرب ان يقع بينهم فلم يقع كما قال تعالى وهو الذي كف
ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم ووقعت الهدنة
واعتمر عليه الصلاة والسلام من قابل واستمر ذلك الى ان نقضوا العهد فتوجه
اليهم غازيا ففتحت مكة فعلى هذا فالمراد بقوله اظن انك قد وضعت الحرب
اي بقصد وهم محاربين وهو كقوله عليه الصلاة والسلام نغزوهم ولا يغزونا
كما تقدم وقد بين سبب انفجار جرح سعد في مرسل حميد بن هلال عند ابن سعد
ولفظه انه مرت به عنز وهو مضطجع فاصاب ظلفها موضع النحر فانفجرت
حتى مات وحضر جنازته سبعون الف ملك واهتز لموته عرش الرحمن
رواه الشيخان قال النووي واختلف العلماء في تاويله فقالت طائفة هو
على ظاهره واهتزاز العرش تحركه فرحا بقدوم روح سعد وجعل الله
تعالى في العرش تمييزا حصل به هذا ولا مانع منه كما قال تعالى وان منها لما يهبط
من خشية الله وهذا القول هو ظاهر الحديث وهو المختار وقال المازري

Copyright King Saud University